تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى

اسم الباحث

أ.د/ عبدالغفور اغلام عبدالغفور الرفاعي

أ. د. عبد الغفور اغلام عبد الغفور الرّفاعي

تعظيم النَّبيّ ﷺ لله تعالى

المقدمة

الحمد لله العليِّ الكبير، العليم القدير، الذي جلّ عن الشبيه والنظير، وتعالىٰ عن الشريك والوزير، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفُوًا أحد. وصلىٰ الله علىٰ رسوله محمد البشير النذير، السراج المنير، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة في اليوم الموعود، وعلىٰ آله وأصحابه الأخيار، وأهل بيته الأبرار، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان، والمقتدين بهم في كل زمان،،

وبعد؛ فان القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وهو دستور الكون، وهو الناموس الأكبر، والمعجزة الخالدة، الذي نزل به الروح الأمين من رب العالمين علىٰ سيدنا ليبين للناس ما أنزل اليهم من ربهم، فهذا الكتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من العزيز حكيم، ولو اجتمعت الانس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا تأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

فإن الله تعالىٰ لم يخلق الخلق، ولم يرسل الرسل، وينزل الكتب، إلَّا من أجل تحقيق عبادته سبحانه، وتحكيم شرعه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ولا يمكن أن تصل العبادة إلىٰ أعلىٰ كمالها إلا بتعظيم المعبود؛ فالعبادة هي تعظيم الله وامتثال أوامره، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، فالتعظيم يولد في النفس الخوف من المعظَّم، ولهذا ما فتئ علماء الأمة الإسلامية بتذكير الناس في مسألة تعظيم الله تبارك وتعالىٰ.

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، إذا تدبرها الإنسان استشعر عظمة الله تعالىٰ، فعندما نتأمل قوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر]، نشعر بعظمة الخالق سبحانه، حيث تجلت هذه العظمة في هذا الكون الفسيح، فهو سبحانه يقبض الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ويسجد له خاضعًا منقادًا كل من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من المخلوقات، والشمس والقمر، والنجوم والجبال، والشجر والدواب، والصخور والأحجار، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير حق عليه العذاب فهو مهين، حقت عليه الإهانة والذلة، فهو يفعل في خلقه ما يشاء وفق حكمته، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل].

أهمية الموضوع:

١- أهمية العلم وشرفه علىٰ قدر أهمية المعلوم وشرفه، فشرف العلم بشرف المعلوم.

٢- جدة الموضوع؛ حيث لم أقف فيما اطلعت عليه بخصوص هذا الموضوع التي يستدل بها علىٰ التعظيم.

٣- الحاجة الماسة؛ لبيان تعظيم الخالق سبحانه وتعالىٰ.

أهداف البحث:

١- إبراز تعظيم الله تعالىٰ عند النبي ﷺ.

٢- بيان عظمة الله وقدرته وكمال غناه عن خلقه.

٣- توضيح كيفية مراقبة الله تعالىٰ لعبادة من أجل استشعار عظمته وخشيته في كل الأحوال.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تعددت الأسباب التي جعلتني أختار هذا العنوان:

٢- طلب مرضات الله عز وجل والتقرب اليه بفهم معاني كتابه العزيز.

٣- ندرة وضعف الطرح البحثي التطبيقي في تعظيم الله تعالىٰ، وتأثر كثير من الدراسات الإسلامية بالطرح الغربي وثقافاته.

٤- وجود مادة علمية شرعية غزيرة ضمن نصوص الكتاب والسنة، فيما يتعلق بتعظيم الله تعالىٰ.

٥- حاجة المجتمع المسلم إلىٰ بيان تعظيم الله تعالىٰ، ولن تجد أفضل ولا أكمل من بيانه في القرآن الكريم.

ووقع اختياري علىٰ موضوع مهم من المواضيع التي تتعلق بتعظيم الخالق عز وجل، فأوسمت هذا البحث بـ(**تعظيم النبي ﷺ لله تعالىٰ**)، وقد جاءت خطة هذا البحث علىٰ النحو الآتي:

المبحث الأول: تعظيم النبي ﷺ والسلف لله تعالىٰ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعظيمُ النبيِّ ﷺ لربِّه تعالىٰ.

المطلب الثاني: تعظيم السَّلف الصَّالح لله عزَّ وجلَّ.

المبحث الثاني: تعظيم الله عند الأنبياء والرسُّل الكرام عليهم السلام.

الخاتمة.

وقائمة بثبت المصادر والمراجع.

هذا ما حاولت جمعه، وتقديمه جاهدًا؛ فما كان من صواب فبتوفيق من الله، وما كان من خطأ فمني، ولا يخلو الجهد البشري من الخطأ إلا من عصمه الله، وأسأل الله تعالىٰ أن يتقبله، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنَّه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلىٰ اللهُ علىٰ نبيّنِا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

توطئة: تعريف ألفاظ البحث، والألفاظ ذات الصلة

التَّعظيم لغة واصطلاحًا

١- التَّعظيم لغة:

التَّعظيم لغة: من عظم، وهو الكبر والقوة، فـ (العين والظاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدل علىٰ كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عظم يعظم عظما، وعظمته أنا، فإذا عظم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومعظم الشيء: أكثره)[١].

والتَّعظيم صفة مشبهة للعظيم، والعظيم هو: (العظيم الذي جاوزَ قدرُه وجلَّ عن حدود العقول، حتىٰ لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته)[٢]، و(التعظيم: هو التبجيل، واستعظمه: عدَّه عظيمًا، واستعظم وتعظَّم: تكبَّر)[٣].

٢- التَّعظيم اصطلاحًا:

كما أسلفنا في التَّعريف اللغوي: أنَّ التَّعظيم مأخوذ من العظيم، والعظيم هو: الذي يُعظِّمه خلقه، ويهابونه، ويخشونه، فهو ذو سلطان وجلال في ملكه[٤].

والعظيم اسم من أسماء الله تعالىٰ، وقد قال عزَّ من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٦﴾[النمل]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾[الحاقة: ٣٣]، فالعظيم في صفة الله تعالىٰ تفيد عظم الشأن والسلطان، وليس عظم الأجزاء؛ لأنَّا إذا قلنا ذلك شبهنا صفات الله بصفات المخلوقين تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا[٥].

الألفاظ ذات الصِّلة:

ألفاظ معاني التَّعظيم الواردة في القرآن الكريم من غير لفظ (عظم) الدَّالة علىٰ عظمة الباري سبحانه كثيرة لا تنحصر في ألفاظ معيَّنة، وأخذي لبعض منها لا ينفي وجود غيرها، ومن هذه الألفاظ:

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥، مادة: عظم).

(٢) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩، مادة: عظم).

(٣) الصحاح (٥/ ١٩٨٨، مادة: عظم).

(٤) ينظر: اشتقاق أسماء الله (١/ ١١)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٩٦).

(٥) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ (٤٦).

(مَلِك) ومشتقاتها:

وقد وردت هذه الصِّفة لله تعالىٰ في كثير من المواضع؛ منها قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وغيرها من الآيات الكريمات.

وجه الدَّلالة: لا شكَّ أنَّ مَن له الملك يكون له العزُّ والثَّناء، وله الحكم والبقاء، فهذه الصِّفة له سبحانه تدلُّ علىٰ العظمة، والجبروت، والقهر علىٰ عباده.

فقد قال المفسرون في تفسير الآيات الكريمات سالفة الذِّكر: إنَّ (المَالِك) من (المِلْك) مأخوذٌ، ومعنىٰ ذلك: أنَّ لله المُلْكَ يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، فلله الملك يوم القيامة علىٰ ملوك الدنيا الذين كانوا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء، والعظمة، والسلطان؛ فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الأذِلّة، وأنَّ الملك له وحده جلَّ شأنه، فهو تعالىٰ وحده المنفرد يومئذ بالمُلك دون ملوك الدنيا، الذين صاروا يوم الدِّين من مُلكِهم إلىٰ ذِلَّة وصَغار، ومن دُنياهم في المعاد إلىٰ خسار[(١)].

مشتقُّ كلمة (قهر) كقاهر وقهار، وغيرها:

ورد اشتقاق كلمة القهر في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١]، وغيرها من الآيات الكريمات.

وجه الدَّلالة: مَن له القهر فوق كلِّ المخلوقات فهو العظيم الذي لا نهاية لعظمه، وهو الذي يستحق الحمد والثناء والشكر وحده.

قال المفسِّرون عن هذه الآيتين الكريمين سالفتي الذكر: القهر بمعنىٰ: الغلبة والقوَّة، فالله تعالىٰ قهر خلقه بقدرته وسلطانه؛ فصيَّرهم علىٰ ما أراد طوعًا وكرهًا، ومعنىٰ (القاهر) في صفة الله تعالىٰ: هو القادر الذي لا يعجزه شيء، والغالب الذي لا يغلب، وهو المنفرد بالتدبير، يُجبِر الخلقَ علىٰ مراده[(٢)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/ ١٤٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٨٩)، والبحر المديد (١/ ٥٣).

(٢) ينظر: التَّفسير البسيط (٨/ ٤٥)، وتفسير السمعاني (٢/ ٩٣)، والكشاف (٢/ ١٢).

النَّبيُّ لغة واصطلاحًا

١ - النَّبيُّ لغة:

هو المُخْبِرُ عن الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنىٰ: فاعل، والنبيء: الطريق الواضح؛ لأنَّ الأنبياء هم الطرق الموصلة الىٰ الله تعالىٰ، أو المكان المرتفع؛ أي: من الارتفاع والرفعة[١]. قرأ نافع[٢] لفظة (نَبِيّ) وما جاء منها مهموزة، فيقرأ نَبِيء، وأَنبِئَاء، ونَبِيئُون، ونَبِيئِين، ونَبِيئُهُم، ونَبِيئًا، والنُّبُوءَة، أمّا غيره من القراء فيقرؤنها من دون همز[٣].

قال الإمام البيجوري[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنبي: بالهمز وتركه، مأخوذ من النبأ وهو الخبر؛ لأنه (مُخبِر) بكسر الباء، فإنَّه يخبرنا بالأحكام عن الله تعالىٰ إنْ كان رسولًا ونبيًا أيضًا، فإنْ كان نبيًّا فقط أخبرنا بأنه نبي ليحترم، أو (مخبَر) بفتحها؛ لأنَّ جبريل يخبره عن الله تعالىٰ، أو مأخوذ من النبوة وهي الرفعة؛ لأنَّه مرفوع الرتبة؛ فإنَّه ما من نبي إلّا وهو أفضل من أمته، أو رافع رتبة من أتبعه»[٥].

فالنبي مأخوذ من النَّبْوَة: وهي الارتفاع، ومنه يقال: تُنُبِّئ فلان: إذا أرتفع وعلا[٦].

فالمعنيان كلاهما مكمل للآخر إنْ كان مهموزًا، أم غير مهموز، فالنبي مع كونه مُخْبِرًا عن الله جلَّ ذكره، فهو مرتفع الرتبة علىٰ غيره من البشر، وأيضًا موصل الناس إلىٰ الطريق السوي.

الألفاظ ذات الصِّلة:

من المؤكَّد أنَّ أقرب لفظ للنبيِّ هو (الرسول)، حتَّىٰ أنَّ هناك كثيرا مَن قال بأنَّهما يدلان علىٰ نفس المعنىٰ، فقالوا النَّبي هو: إنسانٌ أُوحِيَ إليه بشرع، سواء أُمِرَ بتبليغه، أم لم يؤمر[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ١٦٢، مادة: نبأ)، والقاموس المحيط (مادة: النبأ).

(٢) هو: نافع بن عبد الرحمن الليثي، قارئ المدينة، وأحد القراء السبعة، توفي سنة (١٦٩هـ).
ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٧)، وغاية النهاية (٢/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: التيسير (١/ ٦٢)، والنشر (١/ ٤٠٦).

(٤) إبراهيم بن محمّد الباجوري المصري الشَّافِعِي، متكلّم أشعري، توفي سنة ١٢٧٦هـ.
ينظر: هدية العارفين (١/ ٤١).

(٥) تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد (١/ ٣٣).

(٦) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٧).

(٧) ينظر: هداية المريد (١/ ٧٤٢)، وتحفة المريد (١/ ٣٣)، وأصول الدين الإسلامي (١/ ١٧٣).

وعلىٰ هذا فمن أُمِرَ بالتبليغ فهو رسول نبي، وإلَّا فهو نبي، فالنبيُّ أعمُّ، فكلُّ رسول نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا[١]، ويؤيِّده قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج: ٥٢].

٢- النَّبيُّ اصطلاحًا:

قال إبراهيم اللّقاني[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «النبوةُ شرعًا: إيحاء الله تعالىٰ لإنسان عاقل حرٍّ ذكرٍ بحكم شرعي تكليفي، سواء أمره به أم لا، فهي أعم من الرسالة؛ إذ لا بدَّ فيها مع ما ذكر من الأمر التبليغ، والنبي شرعًا: من له ذلك كالرسول، سواء كان مع هذا كتاب أم لا، كانَ له شرع مجدد أم لا، كان له نسخٌ لشرعِ مَنْ قبله أو بعضه أم لا»[٣].

(١) ينظر: شرح العقائد النسفية (١/ ٨٣).

(٢) إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، له مصنّفات في عقائد الأشاعرة، توفي سنة ١٠٤١هـ. ينظر: خلاصة الأثر (١/ ٢٩١).

(٣) شرح الناظم علىٰ الجوهرة (١/ ٧٤٢).

المبحث الأوَّل: تعظيم النبي ﷺ والسلف لله تعالى

المطلب الأوَّل: تعظيمُ النبيِّ ﷺ لربِّه

إذا كان التَّعظيمُ ثمرةً من ثمرات المعرفة فقد كان النبيُّ ﷺ أعرفَ الخلق بربِّه، وكيف لا يكون كذلكَ وهو الذي اصطفاه ربُّه، وعلَّمه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: ١١٢]، ومن تدبّر في عبادة النبيِّ ﷺ وذكره ودعائه ولجوئه إلىٰ ربِّه عَلِمَ أنَّه أعظَمُ مَن عَظَّمَ الله تعالىٰ، فقد كان ﷺ: يقوم من الليل حتىٰ تتفطَّر قدماه، فقالت له أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تفعلُ ذلكَ وقد غُفِرَ لك ما تقدَّمَ من ذنبِك وما تأخرَ!! فقال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**»(١).

ومن تعظيمِ النبيِّ ﷺ لربِّه أنه كان يسدُّ جميعَ الأبواب التي تفضي إلىٰ الغلوّ فيه وإخراجه عن حدود العبوديَّة والرِّسالة التي أنزله الله تعالىٰ إيَّاها، فكان ﷺ يقول: «**لا تُطْرُوني كما أطْرتِ النَّصارىٰ ابنَ مريمَ، إنَّما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُاللهِ ورسولُه**»(٢).

وعن محمَّدِ بن جبيرِ بن مطعم(٣)، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسولَ الله! جَهِدت الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونُهكتِ الأموالُ، وهلكتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنَّا نستشفِعُ بكَ علىٰ اللهِ، ونستشْفِعُ باللهِ عليكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقولُ؟**»، وسبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ، فما زالَ يسبِّحُ حتىٰ عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه، ثمَّ قال: «**إنَّه لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ علىٰ أحدٍ من خَلْقِه، شأنُ اللهِ أعظمُ من ذلك**»(٤).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: «**جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(٥).

وعن عبد الله بن الشِّخِّير، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ وَفَدَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ قَالَ: فَأَتَيْنَاه فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: أَنْتَ وَلِيُّنَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَأَنْتَ أَطْوَلُ عَلَيْنَا، قَالَ يُونُسُ: وَأَنْتَ

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١٠٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٢٦١).

(٣) هو: أبو سعيد محمد بن جبير بن مطعم القرشي التابعي الثقة، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك. ينظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٥٧٣-٥٧٤).

(٤) بقريب من لفظ هذا الحديث في: سنن أبي داود (٤٧٢٦)، وإسناده ضعيف.

(٥) مسند أحمد (٣٢٤٧)، قال الأرناؤوط: «صحيح لغيره».

أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلًا، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْغَرَّاءُ، فَقَالَ: «قُولُوا قَوْلَكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ: «وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ»(١).

وقوله ﷺ: «السَّيِّد الله»(٢)، وقد ذكر القاضي عياض في شرحه للحديث فقال: «إن لفظ السَّيّد غير مستعمل في حقِّ الله استعمال الرَّبِّ، ولا متداول علىٰ الألسن من صفاته، ولا جاء في الكتاب ولا في حديث متواتر تسميته بذلك، وقد كره مالك الدعاء بسيدي، وإن كان الله هو السيد حقيقة. والنَّبيُّ ﷺ إنما قال ذلك علىٰ طريق التواضع، وكراهة المدح فىٰ الوجه، وقد قال للأنصار: (قوموا لسيِّدكم) يعني: سعد بن معاذ، وقال: (اسمعوا ما يقول سيِّدكم سعد بن عبادة)، والسيد: رئيس القوم ومعظمهم ومقدمهم في الخير والفضل، والقائم بأمورهم ومصالحهم، وسيد الدار: قيمها، وهو في حقّ الله تعالىٰ بمعنىٰ مالك الخلق ومدبرهم»(٣).

وكان النبيُّ ﷺ يعظِّمُ الله تعالىٰ من خلال تدبُّر آيات القرآن الكريم، وكان ﷺ يخشىٰ من نزول العذاب علىٰ هذه الأمَّة، ففي (صحيح البخاريِّ) من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لمَّا نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[الأنعام]، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك». قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال النبيُّ ﷺ: «أعوذُ بوجهكَ». قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهونُ أو هذا أيسرُ»(٤).

وكان إذا رأىٰ غيمًا عُرِفَ في وجهه، قالت سيدتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَكَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا، أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ؛ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأحقاف: ٢٤]»(٥).

وكان ﷺ من تعظيمه لربِّه يتأثَّر بالآيات التي يخوِّفُ الله بها عبادَه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ،

(١) مسند أحمد (١٦٣١١)، قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم».
(٢) مسند أحمد (١٦٣٥٠)، قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم».
(٣) إكمال المعلم (٧ / ١٨٩).
(٤) صحيح البخاري (٤٣٥٢).
(٥) صحيح البخاري (٤٥٥١).

فَكَبَّرَ فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فَقَامَ وَلَمْ يَسْجُدْ وَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَدْنَىٰ مِنَ الْقِرَاءَةِ الأُولَىٰ، ثُمَّ كَبَّرَ وَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهْوَ أَدْنَىٰ مِنَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَاسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «هُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْزَعُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ»(١).

المطلب الثاني: تعظيم السَّلف الصَّالح لله عزَّ وجلَّ

الصَّحابة الكرام وسلفنا الصَّالح هم أشدَّ ما يكونون اتِّباعًا لمنهج النَّبيِّ ﷺ، ويروي ابن رجب الحنبليِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كيف كان سلفنا الصَّالح يعظِّمون الله -جلَّ في علاه- فيقول: «وكان خلفاء الرُّسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم، لا يدعون إلىٰ تعظيم نفوسهم البتَّة، بل إلىٰ تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبوديَّة والإلهيَّة، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلَّا للاستعانة بها علىٰ الدَّعوة إلىٰ الله وحده. وكانت الرّسل وأتباعهم يصبرون علىٰ الأذىٰ في الدَّعوة إلىٰ الله، ويتحمَّلون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقَّة وهم صابرون، بل راضون بذلك، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لأبيه في خلافته إذا حرص علىٰ تنفيذ الحقّ وإقامة العدل: يا أبتِ، لوددتُ أنِّي غلَتْ بي وبك القدورُ في الله عزَّ وجلَّ. وقال بعض الصَّالحين: وددت أنَّ جسمي يقرض بالمقاريض، وأنَّ هذا الخلق كلُّهم أطاعوا الله عزَّ وجلَّ، ومعنىٰ هذا: أنَّ صاحب ذلك القول قد يكون لَحِظَ نُصْحَ الخلق والشَّفقة عليهم من عذاب الله، وأحبَّ أن يقيهم من عذاب الله بأذىٰ نفسه، وقد يكون لَحِظَ جلالَ الله، وعظمته، وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطَّاعة والمحبَّة، فودَّ أنَّ الخلق كلَّهم قاموا بذلك، وإن حصل له في نفسه غاية الضَّرر»(٢).

ومن أروع الأمثلة التي دوّنها التاريخ عن سلفنا الصالح، وتعظيمهم لله عزّ وجلّ: ما وقع لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، لمَّا سأله أحدهم عن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: كيف استوىٰ؟ فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال؟ يقول الرَّواي: فما رأيته وَجُد وغَضِبَ من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرّحَضَاء (العرق)، وأطرق القوم، فجعلوا

(١) صحيح البخاري (٩٩٩).
(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ٧٨).

ينتظرون الأمر به فيه، ثمّ سُرِّي عن مالك، فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسُّؤال عنه بدعة، وإنِّي لأخاف أن تكون ضالًّا، ثمَّ أُمِرَ به فأُخرِجَ[١].

تأمّل ما أصاب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شدة الغضب وتصبب العرق إجلالًا وتعظيمًا لله تعالىٰ، وإنكارًا لهذا السؤال عن كيفية استواء الربّ جلَّ جلاله.

وكذلك ما جرىٰ للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لمَّا مرَّ مع ابنه عبدالله علىٰ قاصٍّ يقصُّ حديث النُّزول، فيقول: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله -عزَّ وجلَّ- إلىٰ سماء الدُّنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال، يقول عبدالله: فارتعد أبي، واصفَّر لونُه، ولزم يدي، وأمسكته حتىٰ سكن، ثم قال: قف بنا علىٰ هذا المتخرص، فلمَّا حاذاه؛ قال: يا هذا، رسول الله أغيرُ علىٰ -ربِّه عزَّ وجلَّ- منك، قل كما قال رسول الله. وانصرف[٢].

ومن تعظيم الله تعالىٰ: تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوة وتدبرًا وعملًا، وقد حقق سلفنا الصالح الواجب نحو كتاب الله تعالىٰ من التعظيم والإجلال، حتىٰ إن بعض السلف كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف، وكان يقال: عظِّموا كتاب الله[٣].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ليله منفردًا عن الناس كلهم خاليا بربه عز وجل، ضارعًا إليه، مواظبًا علىٰ تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتىٰ يميل يمنة ويسرة[٤]، وهذا غيض من فيض من أخبار وأحوال أولئك المعظمين لله، اللهم كما رزقتهم تعظيمك فارزقنا إياه يا سميع الدعاء.

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٤-٢٥).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (١١٠).
(٣) ينظر: حلية الأولياء (٤/ ٢٣٠).
(٤) ينظر: الكواكب الدرية (٥٦).

المبحث الثاني: تعظيم الله عند الأنبياء والرسُل الكرام عليهم السلام

ما وقر تعظيم الله تعالىٰ في قلب إلَّا وفتح له آفاق الخير والسَّداد في الحياة ويوم المعاد، ولا يتأتىٰ ذلك إلَّا بمجاهدة النَّفْس، وإلزامها المعروف، وتجنيبها المنكر، وكلَّما زاد التَّعظيم زادت المراقبة فتقوىٰ البصيرة حتىٰ يصل العبد إلىٰ درجة الإحسان، كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، روىٰ أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]. فإذا وصل العبد إلىٰ هذه المنزلة ظهر أثر ذلك علىٰ أقواله وأفعاله، وصار نهجًا متَّبعًا لسلوكه.

والأنبياء والرسل هم خير البشرية جميعًا، وأقربهم إلىٰ الله منزلة، وأكثرهم طاعة وعبادة، وأكملهم تعظيمًا وتوقيرًا لله جلَّ ذكره، فهم صفوة الخلق، وحملة الرسالة، بذلوا في سبيل الله كلِّ مهجهم، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك، فكان لا بدَّ من التأسي بهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

ولنأخذ علىٰ ذلك أمثلة عن رسل الله تعالىٰ:

أوَّلًا: ثبات توكُّل سيدنا نوح عليه السلام، قال سبحانه: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس]، فيستهلُّ الباري -جلَّ ذكره- هذه الآية بكلمة ﴿نَبَأَ﴾، وهذه الكلمة معناها: الخبر العظيم[2]، وإذا عظَّم الله شيئًا فهو عظيم جدًّا، قال بعض المفسرين عن هذه الآية: يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتل علىٰ المشركين خبر نوح؛ إذ قال لأهله وعشيرته: إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم، وشقَّ عليكم وعظي إياكم بحجج الله الباهرات، وتنبيهي إياكم علىٰ ذلك؛ فإنِّي علىٰ الله توكلت، فإذا عزمتم علىٰ قتلي أو طردي من بين أظهركم، فعلىٰ الله اتكالي، وبه ثقتي، وهو سَنَدي وظهري، فأجمعوا أمركم، واعزموا علىٰ ما تنوُون عليه في أمري[3].

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٩٩).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٧٨٨-٧٨٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٤٧).

وقد بعث نوحًا إلىٰ قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعوهم إلىٰ الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا علىٰ الله عتوًا كبيرًا، وكان نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما يذكر أهل العلم حليمًا صبورًا، ولم يلق نبيٌّ من قومه من البلاء أكثر ممَّا لقي، إلَّا نبيٌّ قُتِلَ[(١)].

ثانيًا: تحمُّل سيدنا أيوب في سبيل الله تعالىٰ، فقد قال عزَّ من قائل: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

يقصُّ الله تعالىٰ علينا مُذكِّرًا وواعظًا للاعتبار بسيرة خير عباده وهم الرُّسل الكرام عليه صلوات ربِّي وسلامه؛ فيقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: واذكر أيوب. وكان الله قد بسط عليه الدُّنيا فَشَكَرَهُ سبحانه، ثمَّ ابتلاه فصبر. ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ أي: المحسن إليه في عافيته وضُرِّه بما آتاه من صبره. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ بتسليطك الشَّيطان عليَّ في: بدني وأهلي ومالي، وقد طمع الآن في ديني؛ وذلك أنَّه زيَّن لامرأة أيُّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن تأمره أن يذبح الصَّنم، فإنَّه يبرأ ثمَّ يتوب؛ ففطن لذلك، وحلف ليضربها إن برأ، وجزع من ذلك، والشَّكوىٰ إلىٰ الله تعالىٰ ليست من الجزع؛ فلا تُنَافِي الصَّبر، وقال سفيان بن عيينة: ولا من شكا إلىٰ النَّاس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله تعالىٰ[(٢)].

لو أردنا أن نعرف قمَّة الرُّقيِّ في دعاء سيدنا أيوب من الله تعالىٰ؛ فلنقرأ هذه الآية بتأمِّل مصحوب بأسئلة:

السُّؤال الأوَّل: من الذي مسَّ سيدنا أيوب بالضُّرِّ؟

السُّؤال الثَّاني: ما نوع الضُّرُّ الذي مسَّ سيدنا أيوب عليه السلام؟

السُّؤال الثَّالث: ما صيغة طلب سيدنا أيوب من الله تعالىٰ لرفع ضُرِّه؟

جواب السُّؤال الأوَّل: ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الذي أصاب سيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالضُّرِّ هو الشَّيطان، ولكن تحت إرادة الله -جلَّ في علاه- لأمر اقتضته الحكمة الإلهيَّة، وذلك ممَّا اتَّفق عليه المفسِّرون[(٣)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٨-١٩٦٩).

(٢) نظم الدرر (٥/ ١٠٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٤)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ٤٣٥).

وجواب السُّؤال الثَّاني: كان بلاء سيدنا أيوب عظيمًا؛ لكنَّ صبره كان أعظم من بلائه؛ فقد ابتُلِيَ بمرض عضال في جسده استمر سنينًا، ومات كلُّ أولاده، وافتقر من بعد غنىً، وهو علىٰ كلِّ ذلك يحمد الله ويشكره[١].

أمَّا جواب السُّؤال الثَّالث: قبل أن نشرع في دعاءه لننظر إلىٰ كيفيَّة الدُّعاء: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، هنا يبيَّن الله تعالىٰ أنَّ سيدنا أيوب كان ينطلق في دعائه من منطلق العبوديَّة لا من منطلق مكانته كرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فهو بهذه الصِّيغة يقف كما يحبُّ الله من عباده أن يتذلَّلوا إليه، وهذا عامل رئيس في استجابة الله تعالىٰ للدُّعاء.

وعندما نتأمَّل جيدًا دعاءه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكأنَّ البلاء الذي أصابه لم يصب إلا جسده؛ فهو لم يُعَدِّد ابتلاءاته، وهذا قمَّة الأدب مع الله تعالىٰ.

وقال: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾، ولم يقل (آذاني)، أو (أتعبني)، أو غيرها من العبارات التي تشعر بقوَّة البلاء، كلُّ ذلك أدبًا مع الله تعالىٰ.

ثمَّ يختم سيدنا أيُّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعاءه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وهو بذلك لم يطلب بصريح العبارة أن يزيل الله تعالىٰ عنه هذا الابتلاء؛ بل عرَّض عنه تعريضًا؛ استحياءً من الله تعالىٰ[٢].

ثالثًا: خير من عظَّم اللهَ تعالىٰ هو النَّبيُّ ﷺ: قال تعالىٰ وهو يخاطب نبيَّه وحبيبه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر].

ممَّا يروىٰ عن سبب نزول هذه الآية أنَّه: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ بَعْضِ شِعَا بِمَكَّةَ، وَقَدْ دَخَلَهُ مِنَ الْغَمِّ مَا شَاءَ اللهُ مِن تَكْذِيبِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ، فَقَالَ: رَبِّ، أَرِنِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَيُذْهِبُ عَنِّي هَذَا الْغَمَّ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ: ادْعُ أَيَّ أَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شِئْتَ، فَدَعَا غُصْنًا فَانْتُزِعَ مِنْ مَكَانِهِ، ثُمَّ خَدَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَىٰ مَكَانِكَ**»، فَرَجَعَ الْغُصْنُ فَخَدَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ كَمَا كَانَ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَعَ وَقَدْ كَانَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَفَضَّلْتَ أَبَاكَ وَأَجْدَادَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر][٣].

---

(١) ينظر: التَّفسير البسيط (١٥/ ١٤٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٠٧).

(٢) ينظر: التَّفسير البسيط (١٥/ ١٤٧).

(٣) دلائل النبوة (٦/ ١٤).

هذه الآية تخاطب سيد المرسلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتقول له: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلىٰ عبادة الأوثان: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ أيّها الجاهلون بالله ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بالعبادة لغيره، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؛ وسبب وصفه لهم بالجهل أنَّه تقدَّم وصف الإله بكونه خالقًا للأشياء، وبكونه مالكًا لمقاليد السَّموات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنَّها لا تضرُّ ولاتنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصِّفات الشَّريفة المقدَّسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغًا لا مزيد عليه؛ فلهذا السَّبب قال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾، ولاشكَّ أنَّ وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع[1].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٢)، ومفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧١-٤٧٢).

الخاتمة

بعد الفراغ من كتابة هذا البحث أودُ أن الحض أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- إن تعظيم الله تعالىٰ وإجلاله وتوقيره أمر تقتضيه الفطر السليمة، وجاءت به الشرائع القويمة، بأن الله تعالىٰ لا رب غيره ولا إله سواه.

٢- من خلال هذا البحث المتواضع تبين لي أن النصوص القرآنية الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ كثيرة لا حصر لها، ولكن أعطيت نماذج مختصرة في ذلك؛ لتحفيز المؤمن علىٰ تعظيم الله تعالىٰ وتوقيره حق التوقير.

٣- إن الآيات الكونية المبثوثة في هذا العالم الداخلي والخارجي، فيها دلالة واضحة علىٰ عظمة خالقها جل في علاه، وأنه سبحانه وحده المتصرف في هذا الكون العظيم، والمدبر في شؤونه.

٤- إن تعظيم النبي ﷺ هو تعظيم ما يستلزم من شعائر الله تعالىٰ وحدوده، والتي يتعين تحقيقها والقيام بها وتربية الناس عليها.

٥- إنَّ التعظيم الذي فعله النبي ﷺ لربه عز وجل، يعتبر منهجًا تنبعه في عصرنا الحاضر، لأن في هذا الزمان ظهر من الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله والتسفيه والازدراء لدين الله تعالىٰ.

٦- إن تعظيم الله تعالىٰ أصل العبادة وتحقيقها، كما أن الله تعالىٰ أمر العباد بتعظيمه، حيث قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

٧- إن تعظيم النبي ﷺ لربه من أجل العبادات القلبيه، والواجب علىٰ المسلم أن يوقن ويعتقد بها اعتقادًا تامًا، فالإيمان بالله متوقف علىٰ تعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم].

٨- إن الأنبياء والرسل هم خير البشرية جميعًا، وأقربهم إلىٰ الله منزلة، وأكثرهم طاعة وعبادة، وأكملهم تعظيمًا وتوقيرًا لله -جلَّ علاه-، فينبغي التأسي بهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين في تعظيم الله تعالىٰ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أبكار الأفكار في أصول الدين، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي (٦٣١هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - ط٢، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢- اشتقاق أسماء الله، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغداديِّ النَّهاونديِّ الزَّجَّاجيِّ (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣- أصول الدين الإسلامي، للدكتور رشدي عليان، والدكتور قحطان الدوري، دار الإمام الأعظم النعمان بن ثابت - بيروت - ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٤- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو محمد عبد الغني ابن عبد الواحد بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي (٦٠٠هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الشهير بـ(تفسير البيضاوي)، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١، ١٤١٨هـ.

٦- بحر العلوم المسمَّىٰ (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السِّمرقنديِّ الفقيه الحنفيِّ (٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت-.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة - ١٤١٩هـ.

٨- تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (١٢٧٦هـ)، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام - القاهرة - ط١، ٢٠٠٢م.

٩- تفسير أسماء الله الحسنىٰ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج (٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية - دمشق، ١٩٧٤م.

١٠- التَّفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة طلبة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -السُّعوديَّة- ط١، ١٤٣٠هـ.
١١- تفسير القرآن الشهير بـ (تفسير السمعاني)، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزيِّ السَّمعانيِّ الحنفيِّ ثمَّ الشَّافعيِّ (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم/ غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن -الرياض- ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٢- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز -السعودية- ط٣، ١٤١٩هـ.
١٣- التَّفسير الكبير المسمىٰ (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدِّين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجَّاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المِزِّيِّ (٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة -بيروت- ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٥- التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت - ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.
١٧- الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المشهور بـ(صحيح البخاري)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير -اليمامة- ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - ط٤، ١٤٠٥هـ.
١٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ)، دار صادر-بيروت.

٢٠-دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية / ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط / محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٢-شجرةِ النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٤٩هـ.

٢٣-شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (٧٩١هـ) مع حاشيته جمع الفرائد بانارة شرح العقائد، مكتبة المدينة - كراتشي (باكستان)، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤-إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م.

٢٥-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين -بيروت- ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٦-عقيدة السلف أصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري، مكتبة الإمام الوادعي - اليمن - ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٧-غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة برجستراسر، ١٣٥١هـ.

٢٨-القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-.
٣٠- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، مرعي بن يوسف بن أبىٰ بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣١- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاريِّ الرُّويفعيِّ الأفريقيِّ (٧١١هـ)، دار صادر -بيروت- ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٢- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي –بيروت- ط٣، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن المسمَّىٰ (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفرَّاء البغويِّ الشَّافعيِّ (٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٦- معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف/ شعيب الأرناؤوط/ صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهانيِّ (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/ الدار الشَّاميَّة - دمشق/ بيروت- ط١، ١٤١٢هـ.

٣٨-مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيِّ الرَّازيِّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٩-النشر في القراءات العشر، محمد ابن محمد بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرىٰ، تصوير دار الكتاب العلمية.
٤٠-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٤١-هداية المريد لجوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني المالكي (ت: ١٠٤١هـ)، تحقيق: مروان حسين عبد الصالحين البجاوي، دار البصائر - القاهرة - ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٤٢-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي-بيروت.